محاضرة 1

التعليم و مراحله في المغرب القديم

أ. التعليم الإبتدائي:

إذا أخذنا بعين الإعتبار منطقة قورينا (ليبيا الحالية) التي كانت مستعمرة يونانية منذ القرن 7ق.م، فيمكن القول إنّ التعليم الابتدائي ظهر بشمال إفريقيا وبروما في نفس الوقت تقريبا، أي خلال القرن 6ق.م. ويقوم بهذا التعليم معلم ابتدائي (Primus Magister) متخصص. وتستغرق مدة التدريس خمس سنوات، فيها يتعلم التلاميذ القراءة والكتابة والحساب[30] .

ب. *التعليم الثانوي:*

لم يظهر التعليم الثانوي عند الرومان إلا في القرن 3 ق.م. وهي فترة كانت فيها الثقافة مزدهرة في قورينا بشمال إفريقيا. وكان التبادل الثقافي بين هذه الأخيرة وأثينا من جهة، وبينها والاسكندرية من جهة ثانية، في أغنى عصوره. ولم يأخذ التعليم الثانوي عند الرومان صيغته النهائية إلا في أواخر القرن 1ق.م. حيث بدأت نصوص بعض الشعراء اللاتيين، مثل Virgile، تدرس بالمدارس الثانوية. ويقوم بالتدريس بالتعليم الثانوي استاذ نحوي. وتستغرق مدة التعليم سبع سنوات. يعتمد مقرر الدراسة بالثانوي على تلقين النصوص الكلاسيكية (شعراً أكانت أو نثرا)، سواء باللغة اليونانية أو اللاتينية. يفسر الأستاذ النص، ويعطي في نفس الوقت درسا في النحو، ويُجبر التلميذ على حفظ الدرس عن ظهر قلب وعرضه أمام الأستاذ. ومن بين الشخصيات المدروسة آنذاك: الفيلسوف الأمازيغي ابوليوس المادوري (Apulée de Madaure) (125 - 180 ق. م.) و الشاعر فيرجيل والكاتب كيكيرو (Ciceron) وأوريبيد (Euripide) (480 - 406 ق م) وهوميروس(Homère) وهيزيود (Hésiode) (ق8 ق م - ق 7 ق م) وديموستين (Démosthène) (384- 322 ق م) وغيرهم. ويقوم الأستاذ النحوي أيضا بتلقين بعض المبادئ في العلوم العقلية مثل الرياضيات والهندسة والحساب والموسيقى وعلم الفلك. ثم يضيف مادتي فني المسرح والفيلولوجيا. وابتداء من القرن 1ق.م. أضاف الرواقيون مادة تقنية أخرى موضوعها الدراسات المنهجية لعناصر اللغة (أي التحليل المنطقي لبنية اللغة)[31] .

جـ . *التعليم العالي*:

بحكم استفادة منطقة قورينا من الثقافة اليونانية، ظهر في هذه الجهة من شمال إفريقيا القديم نظام التعليم العالي قبل ظهوره في روما، أي قبل القرن 1ق.م. ولقد سيطرت على هذا المستوى التعليمي آنئذ مادة الريطوريقا. ولكن، رغم ظهور مدرسة ريطوريقية عند الرومان، لم تكن الدروس تُعطى باللاتينية بل باليونانية، سواء في روما أو في شمال إفريقيا. يقوم بالتدريس في التعليم العالي الأستاذ الريطوريقي (أو الخطيب). وتشتمل مواد التدريس، على الخصوص، على مواد خطابية أهمها الريطوريقا نفسها، وعلى مواد فلسفية موزعة على ثلاثة تخصصات: الأخلاق والطب والمنطق. وعلى مادتي الجغرافيا والتاريخ. لكن التعليم العالي القديم كان يعادل بالنسبة لكثير من الطلبة المغاربيين دراسة الريطوريقا فقط[32] . وكانت هذه الأخيرة تمارَس في المسائل القضائية والسياسية والبيانية، يقدم فيها الاستاذ الجامعي أولا دروسا نظرية حسب ما ورد في مؤلفات أرسطو وكيكيرو، ثم يعرض نماذج خطابية تُنسب لكتّاب كبار، وأخيرا يتمرن الطالب على التطبيق إما في المرافعات القضائية أو في مواقف سياسية أو بيانية.

أما الفلسفة في التعليم العالي فقد كانت تعلّم داخل مدارس (ما يعادل الزوايا بشمال إفريقيا القروسطوي) أو على شكل دروس حرة من طرف أساتذة مستقلين. كما أن هناك أساتذة للفلسفة متجولين[33] .

يبدأ طالب الفلسفة بدراسة مسائل عامة حول تاريخ الفلسفة، ثم بعد ذلك يتفرغ لدراسة فلسفة المدرسة (أو الزاوية) التي ينتمي إليها. وغالبا ما يحتوي المقرر الدراسي على ثلاثة نماذج نظرية: نموذج في مبادئ المعرفة (المنطق) ونموذج حول العالم (الفيزياء والجغرافيا الفيزيائية) ونموذج في علم الأخلاق. وهذا تقسيم عرفه اليونان منذ التلامذة الأوائل لأفلاطون، وبقي نفس التقليد حتى نهاية العصر القديم. وكانت كل المواد الفلسفية تُعطى باللغة اليونانية.